

الأبعاد البيئية للمجال العمراني وعلاقته بتنمية الطفل في المدن الجزائرية

The environmental dimensions of urban space and its relationship with child development in Algerian cities

عمار مبروكي ، جامعة قسنطينة 2 (الجزائر)، amar.mabrouki@univ-constantine2.dz

موسى اسماعيل شماخي ، جامعة جيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)، m.chamakhi@univ-dbk.m.dz

المؤلف المرسل: عمار مبروكي	تاريخ النشر: 2022-12-01	تاريخ القبول: 2022-11-13	تاريخ الارسال: 2022-08-01
----------------------------	-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

يهدف البحث إلى الكشف عن واقع الفضاء الحضري البيئي وتأثيره على تنمية الطفل، أما مجال تطبيق الدراسة فتتمثل في المدن الجزائرية خلال العقد الأخير، وقدمت وصف تحليلي لوضع الأطفال وعلاقتهم بالبيئة الحضرية، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

البيئة المادية لها تأثير على مكونات الأطفال الحسية والثقافية- النمو الحضري الغير المتزن أدى إلى ظهور عدة مشكلات اجتماعية ونفسية وبيئية- معظم أحياء المدن الجزائرية تفتقر لفضاءات اللعب والترفيه. وخلصت الدراسة إلى عدة توصيات نذكر منها:

إشراك المجتمع المدني في عملية التخطيط

- تجسيد (المواطنة الايكولوجية) من خلال تفعيل مواقع التواصل لتفاعل الأطفال مع المحيط والجماعات المحلية
- تفعيل برنامج الجزائر الخضراء عبر كافة الأحياء في المدن

الكلمات المفتاحية: البيئة، تنمية الطفل، المجال العمراني، التخطيط الحضري، الوسط الحضري

Abstract :

This article aims to reveal the impact of urban space on child development in Algerian cities, the study to reveal the important results are :

- the urban environment an impact on the sensory and cultural component of children.
- Unplanned urban growth has led to the emergence of several social, psuchological and environnemental problems.
- The study concluded several recommendations the most important are :
 - Involve civil society in the planning process-Create a communication network with children such as (social network) with local communities whos ai mis to activate (ecological citizenship).
 - Expand (the green Algeria program) to all ditricts of Algerian cities

Keywords: environment, child development, urban space, urban planning, the city .

1. مقدمة:

تعرف المدن الجزائرية تحولات عمرانية وتوسع أفقي ساهم بشكل أو بآخر في تغير في البنى والأنساق الاجتماعية، كما تتصف معظم الأحياء بتوسع عفوي ترتب عنه عدة مشكلات اجتماعية وبيئية أثرت على الساكنة الحضرية لاسيما شريحة الأطفال التي تعتبر الشارع والحي فضاءها المفضل، هذا الفضاء الذي يكتنفه اللاتجانس جراء التصميمات المستوردة والتي لا تمت بصلة إلى خصوصية مجتمعاتنا، وأن تخطيطها تم في غياب الأطفال، حيث لم يراع احتياجاتهم النفسية، الاجتماعية والثقافية.

وبالرغم من إرادة السلطات في تلبية احتياجات المواطنين لاسيما التكفل بالأطفال في مجالهم الإيكولوجي الحيوي، إلا أن الواقع يناقض ذلك، حيث لا يخفى على أحد ما يتعرض له الأطفال من تهديد ومخاطر تعيق نموهم وتنمية قدراتهم جراء عدم احترام المقاسات والتصاميم والبيئة الحضرية التي لا تستجيب لاحتياجات أطفال القرن الواحد والعشرين، وفي هذا الإطار يندرج محتوى البحث من منظور سوسولوجي معتمدين على محاور رئيسية وأخرى فرعية منها (التراث السوسولوجي للاتجاهات البيئية المعاصرة ، الخلفية الاجتماعية للأطفال داخل الحي وواقع الفضاء العمراني وتأثيره على تنمية الطفل...)

وقد واجهت المدن الجزائرية في العقد الأخير نمو ديمغرافي سريع ونمو حضري غير متزن ، مما دفع بالسلطات إلى محاولة تلبية حاجيات السكان الاجتماعية والعمرانية بأكبر عدد ممكن، واهتمت بالكم على حساب الكيف للتخفيف من مشكلة السكن والسكان من خلال توفير مجموعة من الصيغ والأنماط. وأمام هذا الوضع أصبحت المدن تواجه نسبة كبيرة من احتلال الفضاء الذي يصعب تسييره نتيجة الضغط الديمغرافي على المشهد العمراني بشكل كبير، حيث تضاعف عدد السكان خلال العشرين سنة السابقة ليصل إلى 37.9 مليون نسمة إلى غاية يناير 2013 (جانفي)، ومن المتوقع أن يتجاوز 38 مليون نسمة في سنة 2014، وبلغ إجمالي عدد الأطفال من الولادة حتى سن 14 سنة 13 مليون طفل. (الديوان الوطني للإحصاء الديمغرافي)

وبالرغم من القفزة النوعية التي عرفت البلاد في إنجاز أكبر عدد ممكن من السكن للتخفيف من حدة المشكلة، وتجسيدها لتطبيق برنامج المخطط الخماسي الأول والثاني لرئيس الجمهورية قصد التكفل بأكبر شريحة من الطبقات الاجتماعية، إلا أنها تناست وأهملت الجانب الجمالي للمجال الحضري عبر الأحياء السكنية الأهلة بالسكان، وأصبحت المدن عبارة عن أحياء إسمنتية بائسة تمثل صورة قاتمة جراء تراكم الأوساخ في الأماكن العمومية والساحات وزوايا العمارات التي تحوي أكوام النفايات لشقى أنواعها، وأصبحت فضاء للعب الأطفال لأن الشارع والحي المكان المفضل للطفل الذي يتردد عليه يوميا بعد أوقات الدراسة، حيث يلعب الحيز المكاني دور قوة محركة لسيرونة النشأة الاجتماعية للأطفال.

غير أن الشارع والحي الذي يجده الطفل مكانه المفضل في المدينة الجزائرية يعيش اليوم واقع متأزم جراء إهمال البيئة وتنامي البناء العشوائي وافتقار المدن إلى التصاميم الضرورية كتصاميم التهئة وضعف المراقبة لقطاع التعمير والتراخي في زجر المخالفات وانتشار المضاربات العقارية وعدم احترام المقاييس المعمول بها، وهي ظواهر لها الأثر البالغ على البيئات الحضرية وتساهم في تلويثها على مستويات عديدة:

- اختلال التوازن بين المساحات المبنية والمساحات الخضراء.
 - تدمير الحزام الأخضر للمدن، وإهمال الجانب الترويحي للأطفال.
 - انتشار الأحياء التي لا تتوفر على المعايير الصحية الأساسية للسكن اللائق.
 - الافتقار إلى التجهيزات الأساسية المرتبطة بجمع النفايات المنزلية.

ولقد ذكرت دائرة الصحة العامة والبيئة في منظمة الصحة العالمية في تقريرها الخاص عن الأمراض البيئية وجود 85 فئة من الأمراض والأضرار الصحية الناتجة عن الأخطار البيئية، ويشكل الأطفال تحت سن الخامسة الذين يشكلون 10% من عينة الأمراض البيئية، ومن المؤسف أن يموت أكثر من خمسة ملايين طفل في العالم نتيجة الأمراض وحوادث لها علاقة بالتلوث البيئي. (منظمة الصحة العالمية، 2010)

ولا يقتصر التأثير على الجانب البيولوجي فحسب، بل يتعداه إلى الجانب الفكري والسلوكي ونظرتهم إلى الحياة، فيتولد عنهم كراهية، حقد واحتقار لمحيطهم وأحيائهم جراء سوء التخطيط، واستيراد أنماط عمرانية لا تمت بصلة لخصوصية المجتمع، وتفاقت الأزمة بين الإنسان ومحيطه البيئي، وأصبح ينظر إلى أزمة البيئة ومشكلاتها المختلفة على أنها في الأساس هي أزمة إنسان وليست أزمة مكان، ومن ثم يتعين أن نبدأ بفهم الإنسان كي نفهم المكان لكونه المتغير المباشر في تشكيل الأمة، وأن أي علاج يجب البحث عنه في النظم الاجتماعية والثقافية، وعلى هذا الأساس يطرح التساؤل التالي: ما حقيقة واقع الفضاء العمراني الحضري البيئي وما هو أثره على حياة الأطفال؟ للإجابة على هذا التساؤل ارتأينا أن نقسم مقالنا هذا إلى ما يلي:

2. مفاهيم الدراسة:

1.2. مفهوم البعد البيئي:

كونه من المفاهيم المركبة لذا يستوجب تحديد كل مفهوم على حدى لنصل للمفهوم ككل.

لغويا: جمع بعد إي سمات أو مظاهر، جاء في معجم الوسيط "البعد: اتسع المدى، ويقولون في الدعاء عليه: بعدا له: أي هلاكا" (الوسيط)

التعريف الاصطلاحي للبيئة: يعرفها صالح محمود على أنها: "حيز مكاني له صفاته الطبيعية والحياتية المميزة والذي يضم كل العناصر الأساسية في حياة الكائنات الحية كالمناخ بعناصره المختلفة والطاقة والضوء والتربة، فالبيئة تتكون من العوامل المؤثرة في المجتمعات الحية بكل أنواعها وفصائلها". (صالح محمود، 2002، ص15)

2.2. المفهوم الاصطلاحي للفضاء البيئي:

هو إحدى الظواهر الطبيعية التي يعبر عنها الإنسان عن وجوده وتفاعله مع البيئة حوله من خلال فهم وتحليل وإعادة تشكيل المكونات المادية للهيئة الحضرية والفراغات التي ترتبط بها الذات المدركة ارتباطا ذهنيا وتتفاعل معها، بحيث تمنحها ديناميكية فكرية رغم كونها في بعض الحالات مستقرة شكلا (كالربع والمثلث) . (حسام يعقوب،

2009، ص407)

3.2. مفهوم تنمية الطفل :

كونه من المفاهيم المركبة ارتأينا ان نعرف التنمية ثم الطفل لنصل إلى مفهوم تنمية الطفل.

1.3.2 مفهوم التنمية :

يعرفها الجوهري على أنها عملية تنطوي على تغير حاسم في كل مجالات القدرات الإنسانية والنشاط الإنساني

(مجالات روحية، فكرية، تكنولوجية، اقتصادية واجتماعية). (مُجَّد، 1990، ص75)

ويذهب في هذا الاتجاه سعد الدين بولهم حيث يعني بأنه الاتساق ونمو كل الإمكانيات والطاقات الكائنة في كيان

معين بشكل كامل وشامل ومتوازن سواء كان الكيان فردا أو جماعة (مُجَّد، 1990، ص75)

2.3.2 مفهوم الطفل :

يعرفه قاموس لونغمان على أنها المرحلة الزمنية التي تمر بالشخص عندما يكون طفلا (ابن منظور، 2003، ص

401)

ويعرفه علماء الاجتماع على أنها عبارة عن تلك الفترة في الحياة الإنسانية التي يعتمد فيها الفرد على والديه اعتمادا

كليا فيما يحفظ حياته، ففيها يتعلم ويتمرن للفترة التي تليها وهي ليست مهمة في حد ذاتها، بل هي قنطرة يعبر عليها

الطفل حتى النضج الفسيولوجي والعقلي والنفسي والاجتماعي والخلقي والروحي والتي تتشكل خلالها حياة الإنسان

ككائن اجتماعي.

3.3.2. تنمية الطفل :

تعرفها المنظمة العالمية Unicef على أنها فترات زمنية لتطور الطفل لتنمية مهاراته المعرفية والعاطفية والبدنية

والاجتماعية كلما تقدم به العمر تتغير احتياجاته وقدراته وتحدياته، وتنقسم هذه المراحل إلى فئات عمرية هي: السنوات

الأولى، السنوات الوسطى وسنوات المراهقة المبكرة (منظمة الامم المتحدة للطفولة، اليونيسيف، 2014 تاريخ التصفح،

10. 05, 2014).

4.2. مفهوم المدينة :

تعددت تعاريف المدينة وفقا لوجهة كل عالم وتوجهاته، فمنهم من عرفها وفقا للتعريف الإداري والقانوني ومنهم من

أرجعها إلى الجانب الاقتصادي والاجتماعي، وسنقتصر على التعريف الاجتماعي كونه الأقرب إلى موضوع الدراسة.

- يعرفها لويس وارث على أنها "المكان الذي يحتوي على تجمعات هائلة من السكان، كما تقوم فيها مراكز

محدودة تعمل على إشعار الأفكار والممارسات التي تنمي أسلوب ونمط الحياة الحضرية الحديثة داخل المدينة". (مُجَّد عباس،

2000، ص22)

ومن ثمة فهي حقيقة اجتماعية تعبر عن الممارسات السلوكية للسكان الذين يعيشون ويعملون معا، تظهر من

خلالها مشكلات اجتماعية وحضرية

3. منهجية البحث:

استخدام الباحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة واقع الفضاء العمراني وتأثير البيئة الحضرية على الطفل في المدن الجزائرية.

ويعد المنهج الوصفي التحليلي أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة وتصنيفها وتحليلها. (زرزوتي، 2002، ص119)، وهو منهج مستخدم في دراسة الظواهر الإنسانية والاجتماعية. أما فيما يخص الحدود الزمانية والمكانية، فالبحث ليس بحثاً ظرفياً محددًا ليحتل زماناً محددًا، إنه يركز على فكرة، متعلقة بتأثير البيئة الحضرية على تنمية الطفل في الوسط الحضري سادت ومازالت قائمة حتى الآن.

4. أهمية البحث:

مع نهاية العقد الأخير من القرن العشرين أصبحت حقوق الأطفال أكثر وضوحاً من أي وقت مضى لأخذها البعد العالمي من جهة، ومن جهة أخرى اهتمام الدراسات العلمية بالتفاعل بين الأطفال ومجالمهم السكني في الحي والمعاش اليومي في البيئة الحضرية، وظهرت اتجاهات نظرية حديثة تهتم بدور الأطفال في الاستجابة للعناصر الموجودة حولهم، بالإضافة إلى:

- التغير السريع الذي تشهده المناطق العربية والجزائر على الخصوص.
- التغير في النظم الاجتماعية والتناقضات الخطيرة في المجتمع الجزائري.
- إفرات النمو الحضري الغير متزن وظهور مشكلات اجتماعية كانتشار الجريمة، انحراف الأحداث.
- نقص الاهتمامات السياسية بحقوق الطفل في مجال التشريع لم يتسنى لحقوق الطفل سوى 40% من الاهتمامات السياسية في الجزائر. (مصطفى، 2011)

5. الخلفية المعرفية للطفل داخل الحي:

إذا كانت المجتمعات الريفية تتسم بالتجانس والتضامن بين سكانها، فإن في المجتمع الحضري تظهر العلاقات الاجتماعية غير المباشرة بين الأفراد، الجوار أصغر وقل تنظيم، ويلعب الفضاء الجغرافي (الحي) للطفل دوراً هاماً في صياغة خبرات الطفل وفي تحديد تكييف الطفل مع الأفراد والمواقف.

فالحي هو أول مساحة يكتشفها الطفل ويكون جزءاً منها، وفي نفس الوقت يستفيد منها، حيث يعتبر الحي ميداناً رئيسياً للاكتشاف والتفاعل الاجتماعي، ويعتبر المحيط الذي ينمو الطفل فيه جسدياً وعاطفياً وفقاً لثلاثة مجالات رئيسية: المجال الجغرافي، المجال المادي والمجال الوجداني، ومن ثم يكون الحي محضوناً حقيقياً للطفل بتعامله وتفاعله معه ليكون رجل المستقبل، وإننا نتفق مع إيميل دوركايم أحد رواد علم الاجتماع في الإلحاح على أهمية المحيط في تكوين النشء بقوله "أعطوني 10 أطفال أجعل منهم الطبيب والشرطي والمجرم..." (محدان، 2014)، في إشارة أن المحيط والبيئة

يعملان على صقل شخصية الفرد، وبدوره هو يعمل على نقل تجاربه إلى أفراد آخرين من محيطه ويؤثر بشكل من الأشكال فيه.

وبالمقابل بلعب الحي دور في تأثيره على مسار التنشئة الاجتماعية للطفل إما بالإيجاب أو السلب، فانحراف الأحداث ما هي إلا نتيجة للتنشئة الغير سوية للطفل داخل الفضاء العمراني، ويستمر هذا السلوك إلى ما بعد سن الرشد، ففي دراسة قام بها "ميشال بون M.Born" لاحظ أن الشباب الذين يقتفون أفعالا منحرفة في طفولتهم قليلا ما يتوقفون عنها عند بلوغهم سن الرشد (18 أو 19 سنة)، بل أن غالبيتهم يستمرون في نشاطهم الجانح إلى ما بعد سن الخامسة والعشرين، وهو ما ذهب إليه "موفيت Moffitt" في نظريته حول الانحراف خلال مراحل التنشئة الاجتماعية، وهو يمثل الجدول التالي:

الجدول 01: يمثل نسبة الانحراف خلال مرحلة التنشئة الاجتماعية

العمر	05	10	15	20	25	27	30	35	40	45
نسبة	0	30	60	70	80	60	30	10	05	03

المصدر: بوفولة بوخميس، الأسرة وانحراف الاحداث مجلة شبكة العلوم النفسية العربية العدد 22، 21 شتاء، ربيع 2009 ص54.

يمثل الجدول السابق النمط الذي تطرق اليه موفيت (MOUFFITT) وهو (الانحراف الدائم) الذي يبدأ من المراحل الأولى للتنشئة الاجتماعية وبالتحديد يبدأ من مرحلة الطفولة الى سن الاربعين حيث يشكل منحني تصاعدي ففي سن 10 تكون نسبة الانحراف 30% الى أن يصل الى نسبة 80% في سن 24 وهي مرحلة المراهقة التي تعتبر من أخطر المراحل التي يمر بها الانسان حيث يلاحظ في الجدول أن نسبة الانحراف بلغت أقصاها ثم تتناقص نسبة الانحراف ابتداء من سن 30 بنسبة 30% لتصل الى 03% فيسن 45 ويعود أساسا لعدة أسباب نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر اضطراب في العلاقات والتفاعل بين السمات الشخصية والعوامل المحيطة ويمكن أدرج الظروف والعوامل البيئية في هذا الجانب والتي يتفاعل معها الطفل وتؤثر في مساره وتكون شخصيته حيث يتفق الكثير من العلماء أن الإجرام والجنوح نتاج لعدة عوامل مرتبطة بالتنشئة الاجتماعية والمحيط البيئي. (بوفولة، 2009، ص 54)

6. حق الطفل في اللعب والترفيه:

مما لاشك فيه أن اللعب يؤثر على نمو الشخصية ونجاحها، فاللعب كالنوم تماما، واللعب لا يعتمد على التكنولوجيا الحديثة فقط لأن الخيال هو أهم شيء، فاللعب ينمي ذاكرة الطفل وإرادته وتفكيره وخياله وشخصيته، فالجري ينمي العقل، فاللعب شيء ضروري للطفل وإبعاد الطفل على ذلك يؤدي إلى إصابته بالعقم الفكري، فهو شيء ضروري لتوازنه.

فاللعب كما تصفه ماريا منتسوري Maria Montessori هو عمل الأطفال الذي يساعد على تعرف الطفل على ما حوله وبداية الانفصال عن ذاته، كما أنها تعتبر اللعب الوسيط لفكرة العمل الجماعي والتعاون، ومن خلال اللعب يتمكن الأطفال من تطوير مهاراتهم الاجتماعية وتدريب قدراتهم على التعاطف الوجداني، وزيادة نموهم العقلي من حيث الاستكشاف والتحليل والتجريب وفهم الخبرات الذاتية، وكذلك تحسين فرص النمو البدني لهم؛ أي أن اللعب سواء الحر أو الموجه هو تدريب على التعامل مع الآخرين وبداية ممارسة المشاركة. (علي، 1991)

كما أن اللعب يدرّب الطفل على القواعد الأسرية والاجتماعية ويعدّه لدوره في المستقبل بوصفه شخصا بالغاً، وفي الألعاب الجماعية يتعلم الطفل كيف يحدد مكانته بالنسبة للآخرين في إطار الهياكل المحددة والمتسلسلة في المجتمع . (الاحمر، 1977)

7. التراث السوسولوجي للبيئة:

إن المتبع والدارس لمسألة واقع الفضاء العمراني وتأثير البيئة الحضرية على الطفل يكشف أن الظاهرة نالت اهتمام المفكرين وجموع المنظرين بمختلف مشاربهم لأنها مرتبطة بعلاقة الإنسان بالمكان ومدى التأثير المتبادل بينهما وذلك لسبب التغير السريع الذي عرفته حواضر المعمورة، لذا رأينا أنه من الضروري الإحاطة بموضوع الورقة البحثية من منظور اجتماعي وعمراني في نفس الوقت من خلال التطرق إلى النظريات المفسرة للظاهرة وهي: نظرية الحتمية البيئية ونظريات النمو ولعب الأطفال كنظرية الطاقة الزائدة، نظرية الإعداد للحياة المستقبلية والنظرية الوظيفية في العمارة وفي الأخير نظريات التصميم الحضري.

وتفسر علاقة الإنسان بالبيئة ويتزعمها كل من ابن خلدون، أرسطو تشارلز داروين، ويقر أصحاب هذه النظرية على أن الإنسان يخضع بكل ما فيه للبيئة، فهي التي تسيطر عليه وليس العكس كما يتردد ويشاع، فإذا كان الإنسان يعيش في بيئة جبلية يكون تأثيره بالإيجاب على تقوية العضلات، أما إذا كانت بيئته بحرية فهي تقوي عضلات اليدين، ومن هذا المنطلق تتحدد علاقة الإنسان بالبيئة، أما علاقة تنشئة الطفل في الوسط الحضري تتحدد بما تحويه الأحياء السكنية، حيث تحولت مباني الأحياء إلى مباني إسمنتية وتقلصت المساحات الخضراء وحتى أماكن لهُو الأطفال اكتسحها الإسمنت، وبذلك تحولت حياة الأطفال إلى مباني إسمنتية، وإلى جدول يصوغه له الكبار بمفاهيمهم الخاصة . (فادية عمر، ص 67)

1.7 . نظرية الطاقة الزائدة :

أسسها شيلر وهاربرت سينسر مفادها أن اللعب مهمته التخلص من الطاقة الزائدة لأن الأولياء يقدمون لهم الغذاء ويعتنون بنظافتهم وصحتهم دون أن يقوم الأطفال بعمل ما، فتتولد لديهم طاقة زائدة يصرفونها في اللعب (عبد الله بن مُجَد، ص 157)

2.7. نظرية الإعداد للحياة المستقبلية :

مؤسسها كارل غروس Karl Groos ترى أن اللعب للكائن الحي هو عبارة عن وظيفة بيولوجية هامة، فاللعب يبرن الأعضاء، واللعب يساعد الطفل في المستقبل على الأعمال الجادة المفيدة والمثال ذلك هو لعب الققط التي يطارد بعضها أثناء اللعب، فهي تقوم بحركات تشبه الحركات التي تقوم بها في المستقبل بقصد الحصول على الطعام ومطاردة الفريسة. (عبد الله بن محمد)

وترى النظرية أن الإنسان يحتاج أكثر من غيره إلى اللعب، لأن تركيبته الجسدية أكثر تعقيدا وأعماله في المستقبل أكثر أهمية واتساعا، ومن هنا كانت فترة طفولته أطول ليزداد لعبه وتتمرن أعضاءه.

3.7. النظرية الوظيفية (المنفعة) :

هي سبب وجود العمل المعماري وهي أول وأهم المؤثرات على الشكل المعماري، ومن هنا يأتي أول مبدأ أساسي الذي أطلقه لويس سوليفان ألا وهو "الشكل يتبع الوظيفة". وعلى هذا الأساس فإن تقييم الشكل المعماري لا يكون صحيحا إلا إذا كان مبنيا على أساس الربط بين الشكل والوظيفة التي أوجدته أو أدت إليه (عبد الله بن محمد، ص34) يقول لويس سوليفان الوظائف تبحث عن أشكالها، والأشكال هي المظهر الخارجي للاحتياجات الداخلية (لوكوربزيه).

4.7. النظرية الوظيفية في العمارة:

ومن روادها لوكوربزيه LeCorbusier، ترى أن شرط الفائدة هو الدافع الأصلي لوجود المباني، ويختلف الإنسان بصفة خاصة عن كل الكائنات الطبيعية الأخرى من حيث أن له جوانب كثيرة متعددة في فهمها حل لمشكلات كثيرة في الأساس النظري للعمارة، ومن مبادئ النظرية:

- التركيز على المنفعة.
- الجمال هو حصيلة لتحقيق المنفعة والمتانة.
- التركيز على مفهوم الفضاء.
- التركيز على الفضاء المفتوح.
- التركيز على الفضاء المستمر.

5.7. نظريات التصميم الحضري:

ظهرت في منتصف القرن الماضي تمحورت حول التغيير على مستوى مكونات عمارة وعمارة المدن الحضرية، تطرقت على ضبط العلاقة بين الإنسان وموضع البناء على مستوى المجتمعات محدودة الحجم والمقاس وهي (عبير محمد، 2013، ص10)

7.1.5. نظريات واتجاهات التصميم الحضري:

ويعتمد على فكرة العلاقة بين الانسان وموضع البناء وعددها 5 فالنظرية فن عمارة وعمران ضمن السياق ترى أن المباني لها أهداف دلالية تكتسب معناها من جدلية العلاقة بين الكتلة والفضاء وأن النسيج يتشكل بكتلتين النقية مقابل الجمالية بتقسيماتها التنظيمية وأن الوظيفة تتبع الشكل.

7.2.5. نظرية عمار وعمار

وتسمى بنظرية الطبقات أو ملئ الفراغات فتري أنه لا بد من الإبقاء على النسيج الحضري القائم كما تعتمد على إضافة طبقات جديدة اليه بقصد ملئ الفراغات الحضرية وإبراز مفهوم معنى المكان في العمارة والعمران في حين أن عمارة وعمران نصية دلالاته السيميائية ترى أن التركيبة الهيكلية والبشرية للمدينة الحضرية تعتمد على تجربة أو عدة تجارب تضعها مكونات البناء استدلالا بالتجربة الإنسانية الحادثة بالمكان.

7.2.5. عمارة وعمران نسقية :

وترى أن الدلالات تعريفية لها دور في التأثير على الخيال في نواحي الابتكار عن طريق تحليل النسق وفروعه، وبالتالي فهي تمثل لغة يمكن استخدامها. (عبير مُجَدِّد، 2013، ص 10)

وسنقتصر في هذا المجال على نظرية عمارة وعمران مستدامة بيئة/خضراء لعلاقتها بورقتنا البحثية.

7.3.5. عمارة وعمارات مستدامة/بيئة خضراء:

يعد مصطلح عمارة وعمران خضراء المفهوم الكلاسيكي للتصميم الحضري ليصبح في نهاية الألفية الثانية عمار وعمران الكتلة النقية فائقة الضخامة، بل والمبالغ فيها بأساليب إنشاء مواد بناء طبيعية ومحلية تكون معالجتها بطرق هندسية وتقنية فائقة المعاصرة للتحكم في التأثيرات البيئية والمناخية، مع الاستعانة بعلوم وأنظمة واتجاهات للتصميم البيئي ومع انحصار البناء الأخضر المستدام ليصبح تعبيراً عن "عمارة وعمران الكتلة النقية ذات المقياس الصغير".

8. واقع الفضاء العمراني في المدن الجزائرية وتأثيره على تنمية الطفل:

وعلى هذا الأساس تكون نظريات التصميم الحضري هي عبارة عن فن علمي مجهول الهوية حال التعامل مع بناء عمارة وعمران المدن الحضرية العربية سواء في حالة إعادة بناء أو تأهيل المدن القائمة أو في مراحل الاستحداث وتنمية المستقرات الحضرية الجديدة لتؤدي وظائفها من منظور بيئي واجتماعي (عبير مُجَدِّد، 2013، ص 12)

شهدت المدن الجزائرية في العشرين سنة السابقة هجرة داخلية نتيجة مخلفات الأزمة الأمنية التي شهدتها البلاد وما تمخض عنها من مأساة وطنية دفعت بالعائلات غلى الهجرة إلى المدن، وأصبح السكان يمثلون خليط من الأنماط الاجتماعية للسكان.

وأمام هذا النزوح الريفي أصبحت المدن تواجه نسبة كبيرة من احتلال الفضاء الذي يصعب تسييره جراء الضغط الديمغرافي على المشهد العمراني بشكل كبير، وتتمثل الخصوصية المهيمنة على الفضاءات الجديدة المبنية في العراء وفي غياب تهيئة الخدمات وستدفع أزمة السكن العائلات بمنحها سكنات تشبه حالات الورشات تعكس المكانة الممنوحة

للطفل في الحيز المكاني أو ما يسمى (بالزققة) وهو الفضاء المجاور العمومي واللامسكون واللامبني كفضاء مفضل للعب في ظل غياب مساحات مخصصة للعب.

فهو المكان الذي يتردد عليه يوميا بعد أوقات الدراسة، فالشارع يلعب دور قوة محركة لسيرورة التنشئة الاجتماعية للأطفال مما يمكنهم على المستويين الجسدي والحركي من تجريب الإشارات والحركات، لأن السكن لا يتيح لهم الفرصة بسبب ضيق المسكن الذي يعد سببا رئيسيا في طرد الأطفال إلى الشارع. كما أن الشارع يتميز بخاصية الجذب للأطفال بالرغم من الأخطار المحدقة بهم، فحسب تحقيق ميداني قامت به الباحثة نورية بن غبريط رمعون، حيث أجرى التحقيق على 30 أستاذة وربة عائلة، فوجدت أن أكثر من النصف 59,3% يقولون أنهم لم يتركوا أولادهم يلعبون في الشارع، وينظر إلى هذا الأخير باعتباره فضاء خطير على الصعيد الجسماني (حوادث) وعلى العلاقة بين الأم والطفل في تركيبها السلطوية، وتساعد الطفل للتهرب من المواجهة الذاتية وذلك من خلال فتح آفاق العلاقات المتبادلة مع الآخرين حسب الكاتبة علال خديجة في أطروحتها حول "مساهمة تنمية التعليم في مرحلة ما قبل التمدرس (kateb ellal, 1987)

فحل المشكلات الاجتماعية سببها الرئيسي النشأة الاجتماعية، فالمدينة التي لا تحتوي على فضاءات للعب والترفيه وحدائق ومنشآت جمالية تمتص طاقة هذه الفئات، فإنها ستكون حتما سبب في الانحراف، فالأطفال الذين لا يتوفرون على فضاءات مهياة بوسائل اللعب وأماكن مريحة، فالبدل هو الجلوس في الحائط والتدخين وغيرها من الآفات الأخرى أكثر حدة كالسرقة والادمان على المخدرات جراء رفاق سوء، أما في جانبها الثقافي، فالبيئة الحالية تتصف بفقْدان المعاني الثقافية الحية التي تربط بين الهوية الثقافية والاجتماعية الخاصة والخصائص المعمارية لمبانيها ومسكنها وكيفية استغلال الفضاء، وأن واقع حالها يؤثر على الخصائص المختلفة الاجتماعية والسلوكية للأطفال.

فالتحول العمراني الحضري الذي شهدته مدننا في السنوات الأخيرة تطبيقا للسياسات العامة للدولة أضفى على البيئة عدم انسجامها وعدم تناغمها مع الخصائص الاجتماعية والثقافية للأطفال، حيث طبقت تصميمات ونفذت تحت تأثير تيار (اللاتتاقف الحضاري)، كون الحي فضاء للتفاعلات المتبادلة بين شبكة الأفراد والجماعات المشتركة في القيام بعمليات اجتماعية (كالتعاون، التوافق، التكيف، الاندماج، التنافس، الصراع... إلخ). فالتأثير المتبادل هو جوهر عملية التفاعل، وهو ما فسره التوجه البنوي الوظيفي والتفاعلية الرمزية، فالرموز هي الوسيلة السائدة للتفاعل، فجميع الكلمات والكثير من الحركات والإيماءات والأشياء التي يستخدمها الأطفال هي رموز. (مُجد عاطف، 2006، ص155) وفي هذا الإطار يشير يونج إلى أن الإنسان يعيش في عالم من الرموز، هذه الرموز هي شكل من أشكال التعبير عن الأفكار والمشاعر، ومن خلالها يستطيع الفرد التعبير عن خبراته (محسن الخليل، 2006، ص120)

9. التحديات المستقبلية

إن تفاقم المشكلات الاجتماعية ما هي إلا إفرازات للبيئة الحضرية و تأثيراتها على التنشئة الاجتماعية للأطفال وهي مؤشر لجزء من السياسة العمرانية، فهناك تحديات مستقبلية تواجه السلطات العامة نذكر منها:

* تفعيل القانون التوجيهي للمدينة الذي يصبو إلى:

- تحديد الأحكام الخاصة الرامية إلى تعريف عناصر سياسة المدينة في إطار سياسة تهيئة الإقليم وتنميته المستدامة.
- تقليص الفوارق بين الحياء وترقية التماسك الاجتماعي.
- القضاء على السكنات الهشة وغير الصحية.
- حماية البيئة والوقاية من الأخطار وتحقيق التنمية المستدامة والحفاظ على البيئة الثقافية.
- تصحيح الاختلالات الحضرية والمحافظة على المساحات الخضراء والمساحات العمومية وترقيتها ومراقبة توسع

المدن

- المعالجة البيئية عن طريق الحرص على العمران المستدام في الأحياء الجديدة حتى تتماشى والظروف البيئية لكل منطقة وفقا لخصوصيتها.
- تنظيم وكفاءة الفراغ العمراني عن طريق الحفاظ على الطاقة الطبيعية وترشيد استعمالها واستخدام مواد بناء تتلاءم مع البيئة

10. نتائج الدراسة

وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

- الأحياء السكنية في المدن الجزائرية عبارة عن أماكن للنوم تفتقر للترباط والعلاقات الاجتماعية التي تساعد على نمو الأطفال، حيث لا يجمع سكان الحي إلا علاقات عابرة (قرب المكان وبعد العلاقات الاجتماعية).
- أن البيئة المادية لها تأثير على مكونات الأطفال الحسية، والثقافية، حيث يتصف معظم الأطفال بالعنف اللفظي والجسدي، وعندما يكبر هؤلاء الأطفال يعتبر العنف لديهم شيء طبيعي.
- التخطيط الحضري لا يستند لخدمات الأطفال فيما يخص شغل أوقات فراغهم.
- نستنتج من الدراسة أن الكثافة السكانية والنمو الحضري غير المتزن أدى إلى ظهور مشكلات اجتماعية تجسدت في الصراعات بين الأطفال ونشوب العنف بينهم جراء اختلاف الثقافات.
- وتوصلت الدراسة إلى أن المدينة التي لا تحوي على فضاءات اللعب والترفيه في مختلف أحيائها ستخلف جيلا من الأطفال المتعطشين للعب والترفيه وستكون سببا في انحرافهم وخروجهم عن المسار الصحيح.
- إن غياب فضاء مجهز ومخصص للنشاطات المتعلقة بالطفل باعتباره واقعا مفروضا على السلطات العمومية، لهذا فالتواجد المكثف للأطفال في الشوارع يعد شكلا من أشكال معارضة الأطفال لسياسة وضعت بدوئهم أو ضدهم فتحول الشارع (الزنقة) إلى فضاء للعب.

11. خاتمة:

قدمت الدراسة وصفا لوضع الأطفال في المدن الجزائرية والخدمات المقدمة لهم في محيطهم البيئي الحضري، كما قدمت وصفا نظريا عاما للمجال الحضري ووظائفه التي تؤثر تأثيرا مباشرا على قدرات الأطفال الشيء الذي أثر بشكل أو بآخر في تنمية التنشئة تجسد في أمراض اجتماعية عدة منها: انحراف الأحداث، التسول، حيث أكد البروفيسور مصطفى خياطي رئيس المرصد الوطني لحقوق الطفل، أن 70% من الأطفال يقتاتون على الصدقة و السرقة، كما يواجه

أكثر من 12 ألف طفل سنويا تمّ متعددة أمام المحاكم جراء تخلي المكلفون بالعناية بهم من الناحيتين النفسية والاجتماعية (مصطفى، 2011)

وما يمكن ان نخلص من هذه الدراسة هو أن الطفولة الجزائرية أصيبت على أكثر من صعيد بالتهميش ونقص العناية التي ألقاها عليها المكلفون بذلك في المجتمع، وعلى الرغم من ذلك تحافظ بعض الأحياء لاسيما في المدن الجديدة (الأقطاب الجديدة) التي تتصف بفضاءات خاصة بالنشاطات المهمة في نمو الطفل في أقسامه الثلاثة: الحركية، المعرفية والاجتماعية، إلا أنها تبقى غير كافية..، وعلى هذا الأساس يوصي الباحث بمجموعة من الاقتراحات :

- التطوير والتحديث في التصميم العمراني لا بد أن يكون ممزوج بالهوية العربية ويستجيب لتطلعات الأطفال.
- يستوجب إشراك الأطفال في عملية النظافة والاهتمام بالصحة العامة في مجاهم العمراني عن طريق حملات ومسابقات تشرف عليها السلطات البلدية بمعية لجان الأحياء ويكرم الأطفال من أجل تفاعلهم مع الحي.
- إشراك المجتمع المدني في عملية التخطيط العمراني.
- أخذ بعين الاعتبار أهمية استكمال مشاريع البنية التحتية والتخطيط المبكر للمدن سيجنب حتما نشوء أحياء فوضوية جديدة وما ينجر عنها من آفات اجتماعية.
- إعداد خطط إستراتيجية قصيرة وطويلة المدى للتخطيط الحضري، وإعادة طلاء الأحياء القديمة بألوان مناسبة وأشكال مختلفة لجذب انتباه الأطفال.
- توفير مساحات للعب الأطفال يغلب عليها طابع التنوع.
- إنشاء مجلس مصغر للأطفال في كل بلدية للاستماع إلى انشغالاتهم واحتياجاتهم المحلية من أجل إشراك هذه الشريحة في صنع القرارات التي تؤثر على حياتهم في ما يسمى (بالمدن الصديقة للأطفال).
- تفعيل برنامج الجزائر الخضراء عبر كافة الأحياء.
- إنشاء شبكة إلكترونية عن طريق مواقع اتصال لتفاعل الأطفال والجماعات المحلية من أجل توفير الخدمات لا سيما ساحات اللعب والحدايق ما يسمى (بالمواطنة الإلكترونية).
- الخدمات لا سيما ساحات اللعب والحدايق ما يسمى (بالمواطنة الإلكترونية).

12. قائمة المراجع:

- ابراهيم محمد عباس. (2000). التنمية والعشوائيات الحضرية، اتجاهات نظرية وبحوث تطبيقية. الاسكندرية، مصر: دارالمعرفة الجامعية.
- ابي الفيصل جمال الدين ابن منظور. (2003). لسان العرب. دار صادر.
- اعصام علي. (1991). مشاركة الأطفال... لماذا...؟ كيف...؟، في إشكاليات تطبيق حقوق الطفل. مجلة المركز المصري اميديست ، صفحة 190.

- بن عبد العزيز الصبي عبد الله بن محمد. أطفال الخليج ذوي الاحتياجات الخاصة، النظريات المختلفة في تفسير اللعب، سيكولوجية اللعب .
- بوخميس بوفولة. (ربيع، 2009). الاسرة وانحراف الاحداث. مجلة شبكة العلوم النفسية العربي ، 21، 22، صفحة 54.
- الجزائر الديوان الوطني للاحصاء. (بلا تاريخ). التقرير السنوي .
- الجولاني فادية عمر. علم الاجتماع الحضري. الإسكندرية، مصر: مؤسسة شباب الجامعة.
- خياطي مصطفى. (2011, 06 01). جريدة أخبار اليوم . تاريخ الاسترداد 2022، من المرصد الوطني لحقوق الطفل:
www.djazaires.com\akhbarlyoum\2741
- رشيد زرواتي. (2002). تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، ط1 ص 119. الجزائر، الجزائر.
- رضا الشاطر هشام محمد جلال أبو سعدة - عبير محمد. (مصر، 2013). فن وعلم بناء عمارة وعمران ، المدن الحضرية . مجلة الإمارات للبحوث الهندسية ، 18 (01).
- الصليب الاحمر. (1977, 08). حق الطفل في اللعب والترفيه. المجلة الدولية للصليب الأحمر ، صفحة 380.
- عايشة محدان. (2014). التسول والسرقه وأدمان على "الكولا"، اطفال الشوارع... من لهم من حام ؟ الجمهورية (590)، 5.
- عبد المولى محمد. (1990). النمو والتخلف. القاهرة: الدار العربية للكتاب.
- عمر محسن الخليل. (2006). معجم علم الاجتماع المعاصر . الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- غيث محمد عاطف. (2006). قاموس علم الاجتماع. الاسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية الأزرقية.
- معجم الوسيط. (بلا تاريخ). وزارة التخطيط لحكومة اقليم كردستان.
- منظمة الامم المتحدة للطفولة، اليونيسيف. (2014). unicef. تاريخ الاسترداد 10 05 2014، من التواصل مع الاطفال، تنمية الطفل:
www.unicef.org/arabic/lws/60144061084.html
- منظمة الصحة العالمية. (2010). تقرير سنوي حول وضعية البيئة.
- النعمان رضوان الطحلاوي حسام يعقوب. (2009). مدونة العام والخاص في البيئة الفضائية المعمارية. مجلة دمشق للعلوم الهندسية (الاول).
- وهبي صالح محمود. (2002). التربية البيئية وآفاقها المستقبلية. دمشق، سوريا: دار الفكر للنشر والتوزيع.
- khadija kateb ellal .(1987) .pour une contribution au développement de l'enseignement pré scolaire en Algérie .these de doctora departement de sociologie . algerie.

